

المحور الثاني: المشكلات الاستيمولوجية للعلوم الإنسانية

3- المحاضرة الثالثة:

المشكلات الاستيمولوجية العامة

العلوم Les sciences humaines هي مجموعة من النشاطات والشعب العلمية والدراسات التي تتنوع من حيث موضوع دراستها، ومنهجها، وغاياتها، إلا أنها تهدف كلها إلى معرفة حقيقة الإنسان، لذلك تسمى بالعلوم الإنسانية، لأنها تفكير حول الكائن الإنساني، وحول أبعاده، خاصة منها المعنوية، سواء على المستوى الفردي أو على المستوى الجماعي. وما دامت كذلك فهي تشكل موضوعا لفلسفة العلوم والاستيمولوجيا أي للدراسة النقدية لها في كليتها، وتسمى إستيمولوجيا عامة، أو لكل علم من علومها، وتسمى باللاستيمولوجيا الخاصة.

المقصد بالاستيمولوجيا العامة، أي تلك الدراسة النقدية لكل العلوم الإنسانية، من ناحية المبادئ والمناهج والنتائج، وكذا العمل المشترك بين كل هذه العلوم، وعلاقتها بالتيارات الفلسفية والدينية، وكذا مشكلة تأخرها إذا ما قورنة بالعلوم الأخرى الطبيعية.

أ) الموضوع:

بقدر ما يبدو موضوع العلوم الإنسانية موحد وهو الإنسان في بُعد المعنوي، إلا أن كل علم من هذه العلوم يهتم بدراسة بعد من أبعاد الإنسان (النفسي، والاجتماعي، الاقتصادي، التاريخي، الأنثروبولوجي... وغيرها من الأبعاد). هذا الأمر لا يؤثر على درجة العلمية في هذه العلوم، لكن، من ناحية أخرى، حين نتأمل في موضوع العلم الواحد، مثلا البعد النفسي موضوع علم النفس، والظاهرة النفسية سواء كانت عقلية، أم انفعالية مثل: الذاكرة، والذكاء، أو الفرح، والحجل، هي ظواهر ليست ذات طبيعة نفسية خالصة، بمعنى، أن أسبابها، ونتائجها قد تكون ذات طبيعة أخرى غير طبيعتها، وهذا ربما يزيد تعقيدا في الدراسات النفسية لمثل هذه الموضوعات.

مثال آخر: في علم الاقتصاد، إذا أخذنا الشغل أو العمل، من ناحية هو ظاهرة اقتصادية، وفي الوقت نفسه يمكن اتباره ظاهرة اجتماعية، لأنه يدخل ضمن العلاقات الاجتماعية، وهو كذلك ظاهرة دينية، فالعمل عبادة، وهو ظاهرة نفسية، لأن العمل يمكن أن يكون طريقة لعلاج الأمراض النفسية.

ما يصدق على علم النفس، وعلم الاقتصاد، يمكن تعميمه على كل العلوم الإنسانية لأن موضوعها الظاهرة الإنسانية وهي بطبيعتها معقدة سواء من ناحية الخصائص، أو من ناحية الدراسة:

- إنسانية: تتعلق بالإنسان وبجانبه المعنوي على أخص.

- كيفية: وليست مادية، فهي قابلة للوصف والفهم ولا تقبل القياس الكمي في أغلب الأحيان.

- متغيرة: لا تثبت على حال واحدة، فهي ليست مماثلة للظاهرة الطبيعية.
- تطغى عليها الذاتية: تابعة للذات غير مستقلة عنها مما يصعب من تناولها تناولا موضوعيا، وهذا بحكم طبيعتها (إنسانية).

تشكل طبيعة الموضوع المعقدة إحدى المشكلات الأساسية التي تساهم بشكل ملحوظ في تأخر الدراسات في مجال العلوم الإنسانية وتطورها.

(ب) المنهج:

وهو طريقة التعامل مع موضوع الدراسة أو الظاهرة الإنسانية، و بفعل تعقيد هذه الأخيرة، فهي تدفع العلماء إلى توظيف مختلف الطرق للكشف عنها. من جهة أخرى تعدد المدارس في العلم الواحد، ولّد نوع من تعدد المناهج، بالرغم من أن الظاهرة واحدة. إن عدم اتفاق علماء التخصص الواحد، يزيد من تعقيد الأمور، كما يرفع درجة الشك في علميته. مثال ذلك تعدد مدارس علم النفس، حتى قيل فيه " كثير المناهج قليل النتائج"، والشيء نفسه قيل عن علم الاجتماع.

للعقلانية في العلوم الإنسانية شروط مثلما يتحدث عنها كلود ليفي ستروس في كتابه الأنثروبولوجيا البنيوية¹.
2 Anthropologie structurale منها القدرة على التجريب، وهي إشارة إلى إمكانية، تطبيق نفس منهج العلوم الطبيعية في تقصي الحقائق العلمية، هل هذا ممكن؟

- أهم المناهج المستخدمة في العلوم الإنسانية

- منهج العلوم الإنسانية بين الفهم والتفسير explication et compréhension وقد حاول دلثاي Dilthey فك هذا الإشكال بتمييزه بين الطريقتين، والوقوف على نتيجة أن الظواهر الطبيعية تخضع لمنهج التفسير في حين تخضع الظواهر الإنسانية لمنهج الفهم².

- المنهج المقارن Méthode comparative إميل دوركهايم Durkheim فهو بمثابة المنهج التجريبي بالنسبة للعلوم الطبيعية، استعمله في دراسته لظاهرة الانتحار.

- منهج المقابلة méthode de l'entretien أو منهج الاستبيان Questionnaire ويوظف من أجل الحصول على عينات تمثيلية، في مختلف المجالات خاصة في الاقتصاد، أو فيما يتعلق بالاستهلاك.

¹ Claude Lévi-Strauss, Anthropologie structurale deux, Paris, Plon, 2015.

² Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit: Die geistige Welt, Trad : M. Remy, Vol 2, Aubier, 1947, p 150-151.

1- في علم الاجتماع:

- المنهج الإثني Ethnométhodologie هو دراسة الأساليب التي يستخدمها الناس لفهم وإنتاج النظام الاجتماعي الذي يعيشون فيه. ويسعى عمومًا إلى توفير بديل للمناهج السوسيولوجية السائدة. ومنه طريقة كسر الروتين La méthode du breaching.

- منهج التحليل الاستراتيجي Analyse stratégique وهي الطريقة التي أسسها كل من ميشيل كروزير Michel Crozier (1922-2013) Erhard Friedberg (1942-)، في كتاب L'Acteur et le Système, 1977 هذا المنهج يقوم على تحليل أداء المنظمات من خلال سلوك الفاعلين، ويقوم على الافتراضات التالية: لديهم هامش من الحري، ويقومون بتطوير استراتيجيات. يسجل سلوكهم في إطار علاقات السلطة، وتشكيل نظام العمل. كما يستعمل هذا المنهج في دراسة استراتيجيات المؤسسات.

- منهج التدخل الاجتماعي: نوع من المرافقة الاجتماعية وهو طريقة بها يُعبرُ العالم الاجتماعي الممثلين على فهم أكثر لمعنى فعلهم (دورهم الاجتماعي).

2- في علم النفس:

- السلوكية Behaviourisme واطسن

- المنهج الكلينيكي La méthode clinique دراسة الوضعيات الشخصية بالاعتماد على مقابلات معمقة.

- التحليل التفاعلي (تبادلي) Analyse transactionnelle مقارنة جد معاصرة من تأسيس الطبيب النفسي الكندي إريك بارن Éric Berne (1910-1970) استخدمت في العلاج النفسي وخاصة في أوروبا وأمريكا وذلك بالاعتماد على منهج التحليل الذي يجعل المريض يتجاوز الماضي (الأحداث الماضية) والتركيز على تحليل ما يمكن أن يمر به مستقبلاً من أحداث لتمكنه من إرادة التغيير، وحرية الاختيار وذلك بتعلم ضبط النفس.

- المنهج التجريبي Méthode expérimentale بتأسيس أول مخبر لعلم النفس على يد العالم الألماني فونت Wilhelm Wundt سنة 1879. في دراسة بعض الظواهر النفسية خاصة منها الإحساس والإدراك.

3- في علم الأنثروبولوجيا:

- المنهج البنوي Méthode structurale كلود ليفي ستروس Claude Lévi-Strauss

4- علم اللغة واللسانيات³:

- المنهج البنيوي ليفي ستروس، وديسوسير
- المنهج الوصفي، ومنهج التفسير، ومنهج التنبؤ في اللسانيات في القرن 20

5- علم الاقتصاد:

- منهج الاستقراء والاستنتاجي عند ستيوارت ميل⁴
- منهج المقابلة méthode de l'entretien أو منهج الاستبيان Questionnaire خاصة فيما يتعلق بعملية الاقتصادية، الإنتاج ونوعيته، التوزيع وطريقة التوزيع، والاستهلاك، وفي هذه العملية تؤخذ بعين الاعتبار آراء أفراد المجتمع.

(ج) النتائج: المقصود بالنتائج، الغايات التي يبلغها أي علم من العلوم الإنسانية في دراسته للظواهر. هل يمكن الحديث عن قوانين تتوصل إليها العلوم الإنسانية في دراستها، بمعنى آخر هل هنا نتائج يمكن أن نعتبرها حقائق علمية، والتي هي محل إجماع العلماء ذوي التخصص الواحد؟

بالنظر إلى خاصية النتائج في مجال دراسة الظواهر الطبيعية، وما يميزها من دقة، وصدق، فإن النتائج في العلوم الإنسانية لم ترتقي بعد إلى هذه المواصفات وذلك للأسباب التالية:

- صعوبة التعامل مع الظاهرة الإنسان بفعل تعقيدها.
- الاكتفاء بفهمها (منهج الفهم) مثلما يقترح البعض، دون تفسيرها (منهج العلوم الطبيعية)، وذلك لصعوبة الكشف عن أسبابها ونتائجها بشكل دقيق.
- النتائج غير قابلة للتعميم، وهذا يفقدها خاصية من أهم الخصائص العلمية (من مميزات القانون التعميم) التي تتجلى في القوانين.

- القانون غير قابل للتعميم إن لم يكن معبرا عن الظاهرة تعبيرا تجريديا (القانون هو عملية تجريد الظواهر). مثال ذلك، في علم الاجتماع، توصل دوركهايم إلى ضبط قانون يفسر ظاهرة الانتحار ومقتضاه، أن ظاهرة الانتحار

3 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, p 877.

4 Mill, J. S, Système de logique déductive et inductive, Paris, Les classiques des sciences sociales, 2002, p 492.
Récupéré sur
http://classiques.uqac.ca/classiques/Mill_john_stuart/systeme_logique/livre_1/systeme_logique_1.html

تتناسب طرديا مع درجة الاندماج الاجتماعي، بعنا أن الأعزب يكون أكثر عرضة للانتحار من المتزوج، وهذا

الأخير يكون أكثر عرضة للانتحار من المتزوج وله أولاد. هل هذا القانون قابل للتعميم؟

- إمكانية التنبؤ ضئيلة، وتكاد تكون معدومة في بعض العلوم الإنسانية.

- البعد الموضوعي: إن الكثير من هذه العلوم تفتقد إلى الموضوعية في الدراسة:

- علم النفس الظواهر ذاتية وشخصية، واسبابها متنوعة.

- علم التاريخ، تأثر الدارس بالنزعة التي ينتمي إليها وهو يؤرخ، مشكلة الذاتية.

- علم الاقتصاد، تغليب المصلحة، والربح والابتعاد عن الغايات العلمية.

- الأنثروبولوجيا طغيان الانتماء الايديولوجي على فكر الباحث.

- علم الاجتماع، التأثير بالعلاقات والوضعيات الاجتماعية، صعوبة فهم الظاهرة الاجتماعية، وتوجيه المؤسسات

للبحث. وهكذا في كل العلوم تقريبا.

من هنا نستنتج صعوبة التعامل مع الظاهرة الإنسانية على اختلاف طبيعتها، وقد تؤدي هذه العوائق المنهجية

إلى التقليل من قيمة هذه العلوم المعرفية، لذلك لا يدخر العلمان في هذا الشأن من جهودهم في الارتقاء بهذه

العلوم إلى مصاف العلوم الطبيعية وذلك من خلال البحث عن أنجع الطرق والمناهج الملائمة لدراسة الظاهرة

الإنسانية.

مراجع المحاضرة:

- 1 Claude Lévi-Strauss, Anthropologie structurale deux, Paris, Plon, 2015.
- 2 Wilhelm Dilthey, Le monde de l'esprit: Die geistige Welt, Trad : M. Remy, Vol 2, Aubier, 1947, p 150-151.
- 3 Anouk Barrerousse & Autre (Sous la direction), Précis de philosophie des sciences, Paris, Vuibert, 2011, p 877.
- 4 Mill, J. S, Système de logique déductive et inductive, Paris, Les classiques des sciences sociales, 2002, p 492.
Récupéré sur
http://classiques.uqac.ca/classiques/Mill_john_stuart/systeme_logique/livre_1/systeme_logique_1.html